مقدمة

المكتبة العامة قوة إيجابية فى المجتمع

وجدت المكتبات منذ أن بدأ الإنسان يسجل أفكاره بكتابتها فوق مواد من السهل حملها أو من السهل حفظها. ولكن ظلت المكتبة حقاً أو امتيازاً تتمتع به دون غيرها قلة مختارة من أفراد بعض المجتمعات سواء أكانت تلك القلة طبقة اجتماعية أم سياسية أم دينية أم ثقافية أم مهنية ـ وظلت الكتب بمنأى عن الرجل العام... ولم تكن بهذه الفئة الأخيرة حاجة إلى الكتب.

وكانت الزعامات من كل نوع تستخدم الكتب كإحدى وسائلها فى نشر الأفكار وحفظها وتناقلها أو توارثها: الكهنة والساسة فى العالم القديم، ومن بعدهم الفلاسفة والأنبياء والشعراء، ثم رجال الدين ورجال العلم... الخ. ولكن حين تعقد النظام الاجتماعى والجهاز الاقتصادى والجهاز السياسى فاستتبع كل منها تطوراً فى توزيع المسئوليات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى أنظمة متداخلة ومتشابكة بحيث تشمل كل المجتمع الذى يتحمل كل فرد من أفراده جزءاً من المسئولية فى تبعات مجتمعهم ـ حين حدث هذا أصبحت الخدمة المكتبية التى تقرب المعرفة

لكل طبقة من طبقات المجتمع ضرورة لا محيد عنها. كما أصبحت المدرسة من قبل ضرورة لاغنى عنها لكل أبناء هذه الطبقات جميعاً، لافرق بين مجموعة من النشء ومجموعة أخرى فى ممارسة حقهم التربوى وهو: إعداد كل منهم لحياة أصلح وإكسابه دراية أتم بمعارف تيسر له التعامل مع الحياة ومع البيئة ومع مسؤولياته حيال الحياة وحيال البيئة.

وقد مضت حوالى مائة سنة من التجربة المتصلة التى نتج عنها نظام المكتبات العامة بشكلها الحالى فى بعض الدول الناهضة ـ فاصبحت المكتبة العامة أداة من أهم أدوات المجتمع الحديث وأقلها من حيث التكاليف وأثبتها من حيث الفائدة (ونقصد بأدوات المجتمع المؤسسات والأنظمة مثل المدارس والصحف والمتاحف والمصارف والملاهى والإذاعة والرياضة.. إلخ). فالمطبوعات تسجل الإنتاج الفكرى، والمكتبة تجمع وتنظم وتنشر الأفكار والمعلومات التى تضمها المطبوعات. ومنذ أن بدأت النظرة إلى المكتبة العامة تتشكل باتجاهات العدالة الاجتماعية أصبحت الأفكار والمعلومات «فى متناول جميع أفراد المجتمع بالتساوى وبدون مقابل بصرف النظر عن مهنة الفرد أو عقيدته أو طبقته الاجتماعية أو جنسه أو لونه».

وقد انتشر فى معظم أرجاء العالم، (وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية) إحساس بالرغبة، بل الضرورة الملحة للتعلم ولاكتساب الخبرات أو المهارات والمعلومات، خلال استعمال المطبوعات. لم يعد مستغربا أن نلقى فى أى جزء من أجزاء العالم اهتماما خاصا بالمكتبة العامة وبالخدمات المكتبية للمجتمع وللجمهور بأكمله كوسيلة من وسائل إرضاء هذه الرغبة فى

الحصول على الكتب والمطبوعات وغيرها من أدوات حفظ ونقل ونشر المعرفة.

أهداف المكتبة العامة

ولكن ما الذى جعل النشاط الثقافى والتعليمى يتجه نحو المكتبة العامة بمثل هذا الإيمان وبمثل هذا التركيز؟ أو بعبارة أخرى ماهى أهداف المكتبة العامة التى نجحت فى كسب كل هؤلاء الأنصار لفلسفتها ولرسالتها؟

من بين هذه الأهداف نكتفى بذكر مايلى:

١ ـ تطور الخدمات التعليمية فى دولة ما ينتج عنه ضرورة الحصول على الكتب لإتمام الدراسة التى بدأتها الأدوات التعليمية التقليدية (من مدارس وفصول ومدرسين). كما أن المدرسة التى لا تتسع إمكانياتها المالية لاقتناء عدد كاف من الكتب يتفق ومستويات قرائها الصغار قد تحتاج إلى معاونة المكتبة العامة لها بإعارتها مجموعات من الكتب فى دورات متتابعة.

٢ ـ ثم إن مكافحة الأمية التى بدأت تتبلور فى جهود جدية فى جميع أرجاء العالم خلال السنوات الأخيرة، أى السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الثانية، هذه المكافحة تعتمد فى استمرار أثرها على سهولة وصول القارىء للكتب أو سهولة وصولها إليه. وبذلك يحتفظ الكبار من حديثى التعليم بتلك المهارة الجديدة التى اكتسبوها بشىء من المشقة. لابد لحديث التعلم من أن يحصل على الكتب التى تدبرها له السلطات التى ساعدته على التخلص من أميته.

٣ ـ القراءات العامة فى المكتبة العامة من جانب الناشىء والمراهق تجعل التعليم الجامعى ـ فيما بعد ـ أكثر فائدة وأكثر امتلاء ونضجا، كما أن اعتياده التردد على المكتبة العامة (بحيث تصبح القراءة عادة سهلة الممارسة) يجعل الأثر النهائى للقراءات أبعد وأكثر استمراراً بعد تخرجه وخاصة إذا ظلت المكتبة العامة فى متناوله، وإذا كانت البيئة تيسر له بذلك الحصول على الكتب التى يريدها.

٤ ـ التطور الاقتصادى والمهارات الفنية اللازمة للصناعات الحديثة كلها تستلزم اطلاعا دائما على ما يكتب عن آخر التطورات فى محيط كل منها ولذلك كان من أكثر المجموعات استعمالا فى المكتبات العامة الكتابات المهنية والفنية والدراسات العلمية والصناعية وخاصة المستويات المبسطة منها.

٥ ـ كذلك الحال فى التكوين السياسى لأفراد المجتمع الديمقراطى حتى يمكنهم حمل مسئوليتهم كأعضاء ذوى أثر فى البناء النهائى للدولة ـ لابد لنا من تقريب الأفكار والمعلومات إليهم بوسائل هى الأخرى ديمقراطية حتى إن اتسعت مدارك الفرد ونضج حكمه على الأشياء كان عضواً أصلح فى بناء أقوى، كان أقدر على فهم ومناقشة الشئون العامة ليخلص منها إلى نتائج مبنية على المعرفة وليس على الجهل. وبهذا تساهم المكتبة فى خلق ورعاية الوعى العام والرأى العام محتفظة دائما بحيدتها المطلقة.

٦ ـ المساعدة على قضاء وقت الفراغ بشكل أنفع وأكثر جدوى للفرد وللمجتمع واستخلاص الفرد من بين برائن اللهو الرخيص والفكر الرخيص

ومزالق الفساد. إذ تهدف المكتبة إلى إبراز القيم العليا فى قراءات جدية، وإلى تغذية الهوايات الصالحة، وإلى الارتفاع بمستوى ما يقرؤه الفرد لأغراض التسلية نحو غايات أسمى وأبقى أثراً.

وسائل المكتبة لتحقيق هذه الأهداف

من أجل تحقيق هذه الأهداف على المكتبة العامة أن تكون جزءاً حيا من حياة المجتمع ـ عليها أن تجعل من نفسها قوة إيجابية دافعة، هى لن تحاول أن تفرض على الناس معتقدات بالذات ولكنها سوف تساعدهم على اختيار ما يعتقدون. عليها ألا تتحيز بل عليها أن تعرض وأن تعرض دائماً. أن تبرز دائماً المسائل العامة التى تهم أفراد البيئة المحيطة بها (أى البيئة التى يأتى منها روادها حاليا، أو التى قد يأتى منها روادها فى المستقبل) ـ وذلك خلال إقامة معارض صغيرة للكتب أو المطبوعات، وطبع قوائم مطالعات، وعقد جلسات بحث أو مناظرة، وإعداد محاضرات ودراسات وعرض أفلام، وتدبير الإرشاد الشخصى للأفراد. عليها أن تستثير ميول القراء وأن تعلن عن خدماتها خلال برنامج متصل من العلاقات العامة. على المكتبة العامة أن تربط بين نشاطها ونشاط الهيئات التعليمية والثقافية والاجتماعية الأخرى ـ كالمدارس والجامعات والمتاحف والنقابات والنوادى والجمعيات العلمية ومنظمات مكافحة الأمية... الخ. كما أن عليها أن تسعى للتعاون مع المكتبات الأخرى فى إعارة الكتب، والتعاون مع الجمعيات المهنية لأمناء المكتبات لرفع مستوى المشتغلين بالمكتبات. عليها أن تدبر سهولة وصول القراء إلى الكتب على رفوف مفتوحة، وخلال إجراءات من الإعداد الفنى السليم كالفهرسة والتصنيف

الصحيحين، كما أن عليها أن تقرب بين خدماتها وبين مساكن الناس وأماكن عملهم خلال التوسع المكتبى كإنشاء الفروع ومحطات الكتب وإعداد الوحدات المتنقلة مثل سيارات الكتب وصناديق الكتب.. وهكذا.

فإن توفر للمكتبة العامة هيئة من الموظفين تعمل بها أحسن تدريبها المهنى واختيارها، وإن توفرت لها ميزانية كافية، ومؤازرة واهتمام كافيين من جانب المجتمع الذى تخدمه ـ إذن يصبح فى وسعها أن تغدو ما نريده لها: «جامعة للشعب» تهب العلم حراً لكل من يقصد إليها. وإن من حق المواطن العادى أن تدبر الدولة له مثل هذه الفرصة التى يحتاج إليها أشد الحاجة ليعلم نفسه بنفسه. هذه الحاجة يزيد من إلحاحها عليه ابتعاده باستمرار عن الحياة البسيطة، والمطالب البسيطة، وأنظمة الحكم البسيطة، والاقتصاديات البدائية، نحو حياة أكثر تعقيداً وأنظمة أكثر تداخلا وسريعة التغيير. ونحن بطبيعة الحال ننتقل بسرعة نحو البناء الاجتماعى المركب والإنتاج الاقتصادى الوافر كما أن مجتمعنا الآن ليس بالبساطة التى تسمح للفرد أن يعرف كل شىء يلزمه بمجرد الجلوس فى المقهى أو قراءة الجريدة أو الحياة فى السوق أو الاستماع للراديو أو مشاهدة السينما. بل لابد من استيعاب منظم لمعلومات ميسورة.

***